

جمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة جيجل
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

العلامة في السيميولوجيا

The Sign in Semiology

السنة الأولى ماستر
من إعداد:
الدكتورة سامية بوكحيل

2024

المخلص

تتناول هذه الورقة البحثية مفهوم العلامة في السيميولوجيا من خلال مقاربتين مؤسستين: المقاربة السوسيرية التي تُعرّف العلامة كثنائية متلازمة من الدال والمدلول قائمة على مبدأ التعسف، والمقاربة البيبرسية التي تُعرّفها كعملية ثلاثية الأبعاد تتضمن التمثيل والموضوع والمؤؤل. وتستعرض الورقة تصنيف بيرس للعلامات إلى أيقونات وإشارات ورموز، ومبدأ القيمة اللغوية عند سوسير، ومفهوم الدلالة بنوعها الأولي والثانوي عند بارت. وتُبيّن الورقة أن مفهوم العلامة يُشكّل اللبنة الأساسية التي يقوم عليها البناء النظري للسيميولوجيا بأكملها.

الكلمات المفتاحية: العلامة، الدال، المدلول، الأيقون، الإشارة، الرمز، التعسف، القيمة اللغوية

المقدمة

يُعَدُّ مفهوم العلامة المفهوم المركزي الذي تقوم عليه السيميولوجيا بأكملها، إذ لا يمكن تصوّر علم للعلامات دون تحديد دقيق لطبيعة العلامة ومكوناتها وعلاقاتها. وقد اختلفت المقاربات السيميولوجية في تعريف العلامة وتصنيفها بحسب المنطلقات المعرفية لكل مدرسة، لكنها تتفق جميعاً على أن العلامة هي ذلك الكيان الذي يحلّ محلّ شيء آخر ويقوم مقامه في عملية التواصل. وتسعى هذه الورقة إلى استعراض مفهوم العلامة عند أبرز رواد السيميولوجيا مع بيان أبعاده النظرية وتطبيقاته المنهجية.

أولاً: تعريف العلامة ومكوناتها

العلامة في أبسط تعريفاتها هي كل ما يحلّ محلّ شيء آخر ويقوم مقامه في عملية التواصل والدلالة. فهي ليست الشيء نفسه بل ما ينبع عنه ويشير إليه، سواء أكان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وتتألف العلامة من مكونين أساسيين لا ينفصلان: الجانب المادي الحسيّ القابل للإدراك، والجانب المفهومي الذهني الذي يُشير إليه هذا الجانب المادي. وتكمن أهمية العلامة في كونها الأداة التي يُنتج بها المعنى ويُنقل عبرها، فبدون علامات لا يتحقّق تواصل ولا يُبنى معنى. والواقع أن الإنسان يعيش في عالم من العلامات، فهو محاط بها في كل لحظة من حياته اليومية، من لغة يتكلّمها وإشارات يتبعها ورموز يفسّرُها.

ثانياً: العلامة عند سوسير — الدال والمدلول

عرّف سوسير العلامة اللغوية كثنائية متلازمة تتألف من الدال والمدلول. فالدال هو الصورة السمعية أو البصمة النفسية للصوت، وليس الصوت المادي نفسه؛ والمدلول هو المفهوم أو الفكرة الذهنية التي يشير إليها الدال. والعلاقة بينهما عضوية لا تقبل الانفصال، إذ لا وجود لدال بلا مدلول كما لا وجود لمدلول بلا دال. وقد أكّد سوسير على مبدأ التعسفية، أي أن الرابط بين الدال والمدلول رابط تعسفي لا يقوم على علاقة طبيعية أو منطقية. وتترتّب على هذا المبدأ نتيجة بالغة الأهمية: فمعنى كل علامة لا يتحدّد بذاتها بل بمعارضتها لغيرها من علامات النظام، مما يجعل القيمة اللغوية مفهوماً علائقياً لا جوهرياً. وميّز سوسير كذلك بين المعنى الذي يتحدّد بعلاقة الدال بالمدلول داخل العلامة، والقيمة التي تتحدّد بعلاقة العلامة ببقية علامات النظام اللغوي.

ثالثًا: العلامة عند بيرس — الأيقون والإشارة والرمز

قدّم بيرس تصنيفًا ثلاثيًا للعلامات يُعدُّ من أكثر إسهاماته أثرًا. فالأيقون (Icon) هو علامة تشبه موضوعها أو تحاكيه في خصائصه الحسية، كالصورة الفوتوغرافية والخريطة والتمثال. والإشارة أو الدليل (Index) هو علامة ترتبط بموضوعها بعلاقة سببية أو تلازم وجودي، كالدخان الذي يشير إلى النار والحُجَّى التي تدل على المرض وأثر القدم الذي يُنبئ بمرور شخص. أما الرمز (Symbol) فهو علامة ترتبط بموضوعها باتفاق تعسفي اجتماعي، كالكلمات في اللغة والإشارات المرورية والأعلام الوطنية. ويتميّز هذا التصنيف بمرونته وقابليته للتطبيق على مختلف أنواع العلامات، كما يُبيّن أن العلامة الواحدة قد تجمع بين أكثر من نوع، فالصورة في الإعلان مثلًا أيقون من حيث مشابقتها لموضوعها ورمز من حيث دلالاتها الثقافية.

رابعًا: الدلالة الأولية والدلالة الثانوية

طوّر رولان بارت مفهوم الدلالة على أساس النموذج السوسيري، حيث ميّز بين مستويين من الدلالة: الدلالة الأولية أو الحرفية وهي المعنى الظاهر المباشر الذي يُنتجه التطابق بين الدال والمدلول في المستوى الأول؛ والدلالة الثانوية أو الأسطورية وهي المعنى الكامن المبطن الذي يُنتجه تحوّل دلالة المستوى الأول بكاملها لتصبح دالًّا في المستوى الثاني. وقد وظّف بارت هذا التمييز في تحليله للأسطورة والصورة الإعلان، مُبيّنًا أن الأسطورة تعمل على تحويل المعنى التاريخي إلى طبيعة تبدو بديهية ومُسلّمًا بها. وهكذا تتكوّن العلامة السيميولوجية في مستواها الثاني من دال هو الدلالة الأولية بكاملها ومدلول هو المفهوم الأيديولوجي أو الثقافي الكامن.

الخاتمة

يتبين من هذا العرض أن مفهوم العلامة يُشكّل اللبنة الأساسية للبناء السيميولوجي بأكمله، وأن تعدّد المقاربات في تعريف العلامة يُعبّر عن ثراء الحقل المعرفي لا عن ضعفه. فالمقاربة السوسيرية تُقدّم نموذجًا ثنائيًا دقيقًا يكشف عن البنية الداخلية للعلامة اللغوية ومبدأ تعسفيتها، والمقاربة البيبرسية تُقدّم تصنيفًا ثلاثيًا مرئيًا يشمل مختلف أنواع العلامات، ومقاربة بارت تُضيف بعدًا أيديولوجيًا يكشف عن الدلالات الكامنة. ولا غنى للباحث السيميولوجي عن الإلمام بهذه المقاربات جميعًا لتأسيس تحليله على أسس نظرية راسخة ومتعددة المراجعيات.

المراجع

دي سوسير، فرديناند. (1916). محاضرات في اللغويات العامة. ترجمة يوثيل يوسف عزيز. دار الشروق.

بيرس، تشارلز سندر. (1931-1958). الأعمال الكاملة. دار هارفارد للنشر.

بارت، رولان. (1957). أسطوريات. ترجمة رائد حمدان. دار الكتاب العربي.

بارت، رولان. (1964). عناصر السيميولوجيا. ترجمة عبد السلام بنعبد العالي. دار توبقال.

إيكو، أمبرتو. (1976). نظرية السيميوطيقا. ترجمة سعيد بنكراد. دار توبقال.

بوكحيل، سامية. (2024). مدخل إلى السيميولوجيا. جامعة جيجل.